مار سركيس وباخوس

السبت ٧ تشرين الأول ٢٠٠٦
(مر ٩/١٣-١٣)

نَعيد في هذه الأمسية عيدَ الشهيدَين سركيس وباخوس شفيعَي هذا الديرِ والعديد من المؤمنينَ الذينَ يأتون اليوم الى هَهنا لالتماسِ شفاعَتهما.

وإذ نرجو من صاحَبي العيد أن يَقبَلا تَشفعاتنا؛ فإنه لا بد لنا، بادئَ ذي بَدءٍ من الإشارة الى المدلولِ الخاص الكامنِ في اختيار ديرِ الابتداءِ في رَهبانيتنا على اسمِ هذَينِ القديسَينِ. فكما قدّمَ هذان الشهيدان القديسان حَياتهما قرابينَ الى اللهِ، على الرغْمِ من كُل الصعوبات التي اعتَرَضَتهما والآلام التي عايناها من جراءِ ثباتهما على إيمانِهما بيسوعَ المسيح؛ كذلكَ هي حياةُ الابتداءِ في هذا الديرِ. إنها بدايةُ تقدمة الى الرب، وترك كل شيءٍ في سبيل المسيح.

فَبينَ شَفيعَي ديرِ الابتداءِ والإخوة المبتدئينَ فيه قواسم مشتَرَكةٌ وتقارب حياتي، ولو اختَلَفَ أسلوب التقدمة. فطالبو الابتداءِ يتركونَ العالمَ ومغرياته، ويكرسونَ حياتهم للهِ، على الرغمِ من الصراعات التي يقاسونَها معَ المادة الدنَيوية ومعَ إغراءات الحياة.

إنهم يَثقونَ، على مثالِ مار سركيس وباخوس، بالذي دعاهم، وهو الطريق والحق والحياةُ.

إن هذينِ القديسَينِ، ايها الاخوةُ، كانا من أشراف المملكة الرومانية ومن أخلَصِ الجنود لها. انتصرا في الحَربِ التي شَنها الرومانُ ضد الفُرسِ سنة ٢٩٧م، فجَعَلَهما الملك مكسيميانوس من أعضاءِ ديوانِه. غيرَ أنهما رفضا تقديمَ الذبائح في هيكلٍ للأصنامِ، معلَنينِ أنهما مسيحيان وقالا للامبراطور: "لنا مَلك أزلي، هو المسيح ابن اللهِ، إياه نعبد وله وحدَه نقَرب كل يومٍ ذبيحَةً مقدسةً حيةً"

أمامَ هذا الإيمان العلني بيسوعَ، وهذا الرفضِ الفاضحِ لعبادة الوثن، أمرَ القائد أنطوخيوس بأن يجَردا من وظيفَتهما في الجندية، ويكبلا ويطافَ بهما في المدينَة.

وحاول الامبراطور بالتهديد من ناحية والتملقِ من ناحية أُخرى، أن يحملهما على التخلّي عن موقفهما، ولمّا لم يفلح أمرَ بجَلْد باخوس أولاً حتى أسلَمَ الروحَ، غافراً لمَن أساءَ إليه.

أما سركيس فأعادوه الى السجنِ ريثَما ينظر في أمرِه، فظَهَرَ له في تلكَ الليلة رفيقُه الشهيد باخوسَ، يعزيه ويشجعه.

عذّبه القائد انطوخيوس بشكلٍ وحشي فتحمل العذاب صابراً وهو يقولُ: "ما اطيبَ العذابَ في سبيلِ من قاسى لأجلنا أَمر الآلام والموتَ صلباً".
أَمَرَ الامبراطور بقطْعِ رأسه، فنال إكليلَ الشهادة سنة ٣١٢م.

إخوتي أخواتي،
لقد حققَ مار سركيس وباخوس كلامَ إنجيلِ اليومَ.
"ستسَلمونَ الى المجالسِ والمجامعِ وتجلَدونَ، وتمثلونَ أمامَ الحُكّامِ والملوك من أجلي شهادةً لديهم". (مر ٩/١٣).
إنهما المَثَلُ الحقيقي أمامَنا: بقوة إيمانِهما، وبثقَتهما باللهِ على الرغمِ من كل الصعوبات، وبِصَبرِهما حتى الموت والاستشهاد. "والذي يثبت الى النهاية، فذاكَ الذي َيخلُص". (مر ١٣/١٣).
كم نحن اليومَ بحاجة أيها الأحبةُ الى أمثالِ هذينِ القديسَينِ، لنعرِفَ كيفَ نثق ونؤمن بالخالقِ الإله الأوحَد.
كم نحن بحاجة الى شفاعَة هذينِ الشهيدَينِ ليعطيانا القوةَ والمثابَرَةَ والصبرَ على صعوبات هذه الحياة، فلا نتراجَع ولا نيأس أمامَ أصغَرِ الصعوبات وابسَطها وأدناها، بلْ نبقى أقوياءَ بالذي يقوينا وهو يسوع المسيح.
كم نحن بحاجة اليومَ، في لبنانَ، الى أن يكبرَ إيماننا باللهِ ورجاؤنا به، فنستَمد القوةَ لمتابَعَة حياتنا مرممينَ جوانِبها التي شَوهَتها الحرب وأفسَدَها القتلُ والدمار.
معكُم، أصلّي الليلةَ، بشفاعة مار سركيس وباخوس،، كي يحميَ اللهُ لبنانَنا الحبيبَ، ويساعدَ شبيبَتَنا، ويبعَثَ فينا الأملَ والرجاءَ.
نضرَع إليه كي يقويَ عائلاتنا، ويعزيَ الحزانى، ويؤاسيَ المتألمينَ، وَيعضدَ المُهجرينَ، ويمزجَ عذابهم بآلام يسوعَ الخلاصية.
ونسألُه أن يحميَ هذا الديرَ وهذه البلدةَ، وأنْ يرسلَ فَعَلَةً لحصاده، وينميَ الدعوات الكهنوتيةَ ليكونوا في خدمَة نشرِ كلمَته من خلالِ الحياة الرهبانية، فندرِك أن يسوعَ هو الأساس والجوهَر في حياتنا، وهو الذي يعطي هذه الحياةَ مَعناها الحقيقي.
إنه سيد الحياة، إنه البدايةُ والنهايةُ وله وحدَه كل الشكرِ والتمجيد والإكرامِ. آمين.
وكل عيد وأنتم بخير.

الاباتي سمعان ابو عبده
الرئيس العام للرهبانية المارونية المريمية